تصـــدير

يتناول هذا الكتاب عددا من المشكلات المنهجية الأساسية التى تعرض للباحث فى علم النفس العيادى ، وهى جميعا مشكلات لا يرد ذكرها كثيرا فى مراجع المناهج التى اعتاد الباحثون الرجوع إليها .

ويضم الكتاب ستة فصول ، بالإضافة إلى ملحق نناقش فيه مسألة بالغة الأهمية ، هى المسئولية الأخلاقية الملقاة على عاتق العلماء فى دول العالم الثالث .

وقد أفردنا الفصل الأول لإلقاء الضوء على عدد من العمليات العقلية الرئيسية التى يقوم بها أى ممارس للبحث العلمى ، وهى عمليات قلما يناقشها الباحثون صراحة ، ومن ثم فهم قلما يلتفتون إلى ما قد يتخللها من ثغرات أو نقاط ضعف ، حتى يمكنهم أن يتصدوا عن وعى إلى تصحيحها وشحذها والارتقاء بها .

وأفردنا الفصل الثانى لمناقشة الجدارة العلمية لدراسة الحالة الفردية كطريق إلى استخلاص التعميمات الإكلينيكية ، وفى هذا الصدد عرضنا لتاريخ الاعتماد على دراسة الحالة الفردية على امتداد تاريخ علم النفس الأكاديمى منذ منتصف القرن التاسع عشر ، ثم ما كان من تراجع لهذا الاعتماد مع زيادة التوجه إلى الاعتماد على دراسة المجموعات فى بداية القرن العشرين ودخول علم الإحصاء فى الصورة ، ثم ما كان من مراجعة لهذا التوجه أدت فى نهاية الأمر (فى أواخر القرن العشرين) إلى إعادة الاعتبار لمنحى الاعتماد على دراسة الفرد، مع تطوير هذه الدراسة بما يزيد من حظها من الموضوعية .

وكرسنا الفصل الثالث لتقديم التناول الإبيديميولوجى (أو الوبائى) للبحث فى الظواهر النفسية العيادية ، وهو تناول لم ينل من علماء النفس المعاصرين ما يستحقه من عناية . وقد تحدثنا فى هذا الفصل عن الأنواع المختلفة للدراسات الوبائية ، وعن عدد من مشكلاتها تفصيلا .

أما الفصلان الرابع والخامس فقد جعلنا منهما امتدادين للفصل الرابع ، وكأن كلا منهما بيان عملى للكيفية التى يستفاد بها من المقاربة الوبائية فى واحد من أهم الميادين البحثية فى علم النفس العيادى ، نعنى ميدان دراسة تعاطى المخدرات ، وتقييم قدرة بعض هذه المواد على استثارة الاعتماد أو الإدمان .

بعد ذلك عالجنا فى الفصل السادس مشكلات التنظير فى البحث العلمى عموما وفى البحوث الوبائية بوجه خاص ، وهذه مشكلة يندر أن تتناولها كتب المناهج تناولا مباشرا يسمح للدارس أن يعى أساسياتها وأن يتتلمذ على خطواتها الكبرى ؛ وهو ما دفعنا إلى الحرص على أن نناقش الأمر مناقشة تسمح للدارس بأن يشق طريقه فى هذا السبيل مستعينا بنوع من التدريب الذاتى ، وحرصنا كذلك على أن نوضح بما لا يدع مجالا للشك فى أن عملية التنظير قابلة للتعلم ، وفى هذا الصدد قدمنا بعض الهاديات .

وبعد انتهائنا من عرض الفصول الستة للكتاب، ألحقنا به ملحقا بعنوان « الدلالة الأخلاقية لكفاءة العلماء فى دول العالم الثالث » . وفى هذا الملحق حاولنا أن ننبه القارئ / الدارس إلى أن الباحثين عموما ملتزمون أمام مجتمعاتهم التزاما أخلاقيا بأن يبلغوا بمستوى كفاءتهم العلمية مرتبة عالية ، وأن وزن هذا الالتزام يصبح أضعافا مضاعفة فى حالة العلماء فى دول العالم الثالث . وقد ناقشنا هذه القضية مناقشة تفصيلية فى جوانبها المتعددة .

وفى جميع فصول الكتاب ، إضافة إلى الملحق كذلك ، حرصنا ونحن نقدم معظم القضايا المنهجية على أن نقدم الأمثلة الشارحة من واقع بحوثنا المصرية ، ولا يعنى ذلك أننا أغفلنا إغفالا تاما ذكر نماذج من دراسات أجنبية ، ولكن الغلبة فيما قدمناه كانت للبحوث المصرية ، آملين أن يكون لصداها فى النفوس مزيدا من التفعيل .

وفقنا الله ، والدارسين/القراء معنا ، فيما نحن بسبيله

مصطفى سويف

القاهرة، فى يوليو ٢٠٠٥